Coptology

هل يُمكن أن يُختزَل التاريخ في شخص ما؟ – ٢

مرةً ثانية: "لأجلنا وعنا"

بين (بدلية) الأنبا بيشوي والتسليم الكنسي

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

تقديم

في معرض الدفاع المستميت عن تعليم العصر الوسيط الذي يتوهمون أنه التعليم الأرثوذكسي، واستمراراً للحملات المأجورة التي يقف خلفها بعض أساقفة كنيستنا القبطية، يتهمني البعض ممن يزعمون -زوراً وبهتاناً- أنهم حماة الإيمان، بأنني أنا جورج حبيب بباوي، أهاجم الكنيسة، وأنني أقوم بمحاولات مستميتة لتشويه تعليم الكنيسة الأرثوذكسية، وإهانة الكنيسة وتعليمها واتهامها بالابتعاد عن تعليم الآباء والقرون الأولى. وهو اتهامٌ عجيب لا هدف له إلا حشد الرعاع والدهماء[1] وراء من يدمرون التعليم الرسولي ويسعون إلى خلق جيل من العبيد لا يمكنهم تمييز الحق من الباطل، فقط لأن الأنبا فلان قال كذا أو كذا. ولعل القارئ يلاحظ أن الاتهام جاء من العمومية بحيث يكشف عن خلل بيِّن في ذهنية هؤلاء المدعين. فأنا -من وجهة نظرهم- أهاجم الكنيسة! أية كنيسة؟ الكنيسة الأرثوذكسية! هكذا سحب هذا البعض نقدي الموجه للتعليم الذي يشيعه الأنبا شنودة والأنبا بيشوي في الكنيسة القبطية عن تدبير الفداء والخلاص، ليشمل الكنيسة الأرثوذكسية، وكأن الكنائس الأرثوذكسية في كل العالم تعلِّم بما يعلِّم به الأنبا شنودة والأنبا بيشوي، وهو وهمٌ يثبته واقع التعليم في الكنائس الأرثوذكسية في العالم كله إلا في كنيستنا القبطية.

وقد جاء هذا الاتهام الباطل على خلفية مقالنا الأول عن استحالة اختزال التاريخ في شخص أو في حقبة، وكانت النقطة التي انطلقنا منها هي أن الذين أشاعوا

---

(١) عامَّةُ الناس وسَوَادُهم (الذين لا وعي لهم).

تعليم العصر الوسيط في الكنيسة القبطية متوهمين أنه التعليم الرسولي، إنما انساقوا وراء هذا الوهم لأنهم لم يدرسوا التاريخ، لا تاريخ الكنيسة القبطية، حتى في العصر الحديث، ولا التاريخ الكنسي بشكلٍ عام، وبالتالي فقدوا الصلة تماماً بالتسليم الرسولي. ذلك لأن التاريخ هو أحد عناصر الأرثوذكسية، فلا أرثوذكسية بدون تاريخ، وبالتالي ليس من حق أي أحد أن يدعي الأرثوذكسية إذا لم يستند إلى ما تراكم عبر السنين من خبرة روحية توجت هامة الكنيسة وظهرت في الزخم الليتورجي المتنامي والمتنوع، وفي قرارات المجامع محلية كانت أو مسكونية، وفي كتابات الآباء المعتبرين أعمدة في الكنيسة جغرافياً أو تاريخياً.

ومن هنا، فإن كنت لم تدرس التاريخ، فأنت لا تكتب إلا من أجل كسب الأصوات، وحشد من لا وعي لهم بما ينتمون إليه، وبالتالي لا يشكل ما تقوله أنت أو ما يقوله غيرك لديهم أي فرق. فقط لن تجنِ إلا نشر الكراهية دفاعاً عن قيادات دخلت الكهنوت في غفلة من الزمن والوعي، استطاعت أن تحول خدمة الكهنوت إلى سيطرة وهيمنة واستبداد، ظهر أقل ما ظهر في أن كل ما يقولونه هو الحق، فقط لأنهم هم من قالوه بغض النظر عن أي شيء آخر. ولذلك كان سهلاً عليهم أن ينشروا ما شاءوا من فتاوى، وأن يصدروا ما يشفي صدورهم من قرارات بالحرمان لا تهدف إلا إلى حماية مكاسبهم وزعامتهم السياسية في زمن غيَّبوا فيه عمداً مع سبق الإصرار، القيادات العلمانية التي كانت تتصدر الحياة القبطية فضاقوا بهم ذرعاً، فنحوهم جانباً لصالح قيادات كهنوتية تجهل التاريخ وتجهل أيضاً التسليم الرسولي.

تلك حقبةٌ دامت أربعين عاماً سبقها استبعاد المجلس الملي العام، والقضاء على العلماء الذين أسسوا معهد الدراسات القبطية مثل سامي جبرة ومراد كامل، وغيرهم، وحرقوا أرض مدرسة اللاهوت الوحيدة (الكلية الإكليريكية) التي كان يقوم عليها حتى عام ١٩٦٥ اساتذة أجلاء بلغ عددهم ٢١ مدرساً كان بعضهم من أساتذة الجامعات مثل زاهر رياض وغيره، فأقصوهم واحداً وراء واحدٍ وحرصوا على عدم إتاحة الفرصة لجيلٍ جديد يخلف هؤلاء الرواد لصالحهم هم، فأصبح من يتولى قسم

اللاهوت فيها مَن لم يدرس اللاهوت بالمرة، بل وبلغت به الجرأة أن يمنح شهادات دكتوراه لا ترقى حتى إلى مستوى الدبلوم في أية جامعة تحترم العلم وتعترف بها الأوساط العلمية العالمية.

وتمكنوا من خلق رأي عام لا يعرف إلا العمامة والميكروفون وإنفاق المال على الجهلة والمأجورين الذين لا يجيدون إلا الشتائم والقدح. ولو حاولنا تتبع الآلية التي يعتمد عليها هؤلاء المدعون، لوجدنا أنفسنا أمام ذات آلية حروب الجيل الرابع التي جاءت مع شبكة المعلومات الدولية، وتعتمد ذات عناصرها:

١- خلق اتهام عام يمس المشاعر بلا دليل، ولكنه يهدف إلى إقصاء شخص معين أو جماعة لأن هذا الشخص أو تلك الجماعة تدفع حركة التحديث والاستنارة بالعودة إلى تراث الكنيسة القبطية الذي لا يعرفه هؤلاء الغوغاء.

٢- إثارة الشك ومحاولة إيهام عامة الشعب بأن هناك خطر محدق بالكنيسة القبطية يجب توحيد كافة الجهود ضده.

٣- اختيار المفردات التي تؤكد الكذبة الأولى والاتهام العام، كأن يقال عن شخصٍ ما إنه بروتستانتي، أو خلقيدوني .... إلخ لمجرد إيهام عامة الشعب بأنه يخالف إيمان الكنيسة.

والمتابع لهؤلاء المدعين يرى أنه لم يفلت من هذه الاتهامات مَن هم أبعد من أن يوصفوا بهذه الصفات، أو تلتصق بهم تلك التهم: مركز دراسات الآباء – كاتب هذه السطور – دير الأنبا مقار ورهبانه – الأب متى المسكين المؤسس الحقيقي للنهضة القبطية في العصر الحديث، والصوت الصارخ في برية الجهل بالعودة إلى عناصر التسليم الكنيسي، الكتاب المقدس والآباء والليتورجية والتاريخ، وغيرهم من الأحرار أصحاب الوعي بحقيقة التسليم الرسولي.

تلك نظرة سريعة موجزة لما حدث وما يحدث لدينا من تجاوزات تغمر بعض المواقع والصفحات القبطية والتي يتوهم أصحابها أنهم حماة الإيمان. وقد أردنا بهذه النظرة أن نمهد لتمحيصنا لما اتهمتنا به هذه الصفحات تعليقاً على مقالنا الذي أشرنا إليه سابقاً والذي تناولنا فيه ما أسماه الأنبا بيشوي بـ "البدليه"، وهو يقصد بها نظرية "البديل العقابي"، فأصبح التعبير خاصاً به في دلالة على تعليم العصر الوسيط.

ويذكّرني ما ساقه أصحاب هذا الاتهام من نصوص في معرض دفاعهم عن التعليم الخاص بالأنبا بيشوي، بالنكتة القديمة التي كانت تقال عن ذلك القروي الساذج الذي بهرته أضواء المدينة حتى ظن أن كل شيء أحمر هو صندوق البوسطة. فكلما وجد هؤلاء نصاً -سواء في الكتاب المقدس، أو عند الآباء- يتضمن كلمة "عنا"، أو كلمة "لأجلنا"، يتوهمون أنهم وجدوا ضالتهم التي تؤيدهم، فيصيحون في جهلٍ: ها هم الآباء يقولون ما يقوله الأنبا شنودة والأنبا بيشوي، فلماذا تتهموهما بغير الأرثوذكسية؟

والحقيقة أنه سبق لنا أن كتبنا أن المسألة ليست في رصِّ نصوصٍ أياً كانت، أو التعلق بمفرادات بغض النظر عن معناها في لغتها الأصلية أو في سياقها المعرفي، وإلا نكرر نكتة القروي الساذج. وبالرغم من أنه سبق لنا أن نشرنا دراستنا التي تزيد صفحاتها عن ٧٥٠ صفحة بعنوان: "موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء"، مطبوعةً بالقاهرة في مارس ٢٠٠٩، وعلى موقع الدراسات القبطية، وتعرضنا فيها للتسليم الرسولي لموت المسيح على الصليب، وبالرغم من أن هذه الدراسة قد احتوت على فصلٍ كاملٍ بعنوان: "الإيمان المسيحي بين فقه اللغة والتسليم الآبائي"، تناولنا في المبحث الأول منه تحديداً التسليم الكنسي عن موت المسيح عنا أو لأجلنا، تحت عنوان "لأجلنا وعنا، وقضية الإعراب وفقه اللغة"، ورغم أن ما كتبناه في هذه الدراسة كاف ليقطع دابر أي خلاف، إلا أنه من الواضح أنهم لا يقرأون، ولا يبذلون أيَّ جهد في سبيل أن يكونوا أمناء مع أنفسهم ومع كنيستهم في قضية التعليم. ولكننا وبالرغم من ذلك، بل ومن أجل ذلك تحديداً، فإننا لن نكل ولن نمل من تحمل المسئولية الملقاة على

عاتقنا بشأن شرح وتوضيح التسليم الرسولي في هذا الخصوص، وسوف نعتبر أي اتهام يوجه لنا بمثابة دعوة للمزيد من الشرح والتوضيح، دون الوقوف لكثير أو قليل عند الاتهامات والشتائم. ونسبق فنؤكد أن التعليم بـ "البدلية" على أنه التعليم الأرثوذكسي، إنما هو عارٌ وتجديف.

"عنَّا"، و"لأجلنا":

يظن هؤلاء أن العهد الجديد كُتِب باللغة العربية، وأن الآباء كتبوا بذات اللغة. ويظن هؤلاء أيضاً أن الترجمة من اللغة الإنجليزية وحدها، هي نصٌّ إلهي موحى به من الروح القدس مثل ترجمة فان ديك، التي أُعيد ترجمتها أخيراً ونُشرت باسم الترجمة الموحدة، والتي تم تجنب بعض الأخطاء التي وقع فيها فان ديك وتركت الباقي؛ لأن بعض الكلمات العربية في ترجمة فان ديك تخدم الفكر السائد، بينما هي لا تعبِّر عند العهد الجديد نفسه. تلك هي الكلمات التي خلَّفتها حركة النهضة الإنجيلية التي جاءت بفكرة معاقبة الآب للابن على الصليب، وهو جوهر ما يندرج تحت اسم "البدلية" بحسب تعبير الأنبا بيشوي.

وقبل أن تدفع العواطف بعض هؤلاء، فينخرطون في سيلٍ من الشتائم والاتهامات، نلفت نظرهم إلى أنه يجب ملاحظة أن الاسم نفسه "البديل – البدلية" لا وجود له حتى في العهد الجديد المترجم إلى اللغة العربية، ولكن الوعاظ استخدموا كلاً من حرفي الجر في اليونانية δια والآخر ὑπερ ويعني "عنا أو لأجلنا" على أنه يعني "البديل". ولذلك، وجب علينا تقديم مسح شامل للعهد الجديد نفسه حسب الأصل في المواضع التي تشتمل على حرفي الجر هذين، ومقارنة الأصل اليوناني بالترجمة العربية مع ملاحظة الاختلافات التي تراها بين العربية والانجليزية، وتقديم بعض أمثلة على ذلك.

من أجل δια:

- (١كور ٨: ١١) حسب ترجمة فان ديك: "الأخ الضعيف الذي مات المسيح من أجله"، فالنص حسب الترجمة الانجليزية "for whom Christ died" وهي ذات الترجمة الحرفية "δί όν χριστός άπέθανεν"، فمن أجلي ولأجل كل الشاتمين مات المسيح لكي لا نشتم ونكذب. وهنا حرف الجر "δί" لا يعني "البديل"، بل سبب الاهتمام بالأخ الضعيف الذي قدَّم المسيح حياته لأجله، **فالمسيح قدَّم حياته للخطاة،** وهو أحد جوانب موت الرب وسوف نعود إليها فيما بعد.

- (٢كو ٨: ٩) حسب ترجمة فان ديك: "إنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره". عندما افتقر الرب، أي صار في صورة العبد؛ صرنا نحن أغنياء. هنا ليس للبديل مكانٌ، بل "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له"؛ لأن الغِنى الذي جاء بفقر الابن هو الحياة الأبدية والقيامة من الأموات، ليس لأنه حلَّ محلنا كما شاع، بل لأنه "لأجلنا" جاء بهذا التغيير.

- (رو ٤: ٢٥) حسب ترجمة فان ديك: "الذي أُسلِمَ من أجل خطايانا .."، هنا أيضاً لم يكن الرب بديلاً للخطية ولا حتى للخطاة، بل بسبب الخطايا، ثم بقية النص: "أقيم من أجل تبريرنا"؛ لأنه العمل الواحد للرب الواحد أن يبيد الموت ويمنح القيامة.

- (متى ٥: ٤٤) "صلوا لأجل" Pray for وعندما نصلي "لأجل الذي يسيئون إلينا"، فنحن لسنا البديل، بل لأن إلزام المحبة يجعلنا نطلب لهم ولنا ذات ما نطلبه لأنفسنا: "أغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً"

لأجل أو عن ὑπέρ:

وهو أكثر استعمالاً في العهد الجديد، وهو يؤكد تنوع عمل الرب يسوع، فهو ليس الموت وحده، بل والقيامة أيضاً. والقيامة هي التي أطاحت بفكرة البديل؛ لأن من مات كبديل لا قيامة له، بل يجب أن يبقى في قبضة الموت إلى الأبد، وهو ما لم يحدث للرب يسوع. ونقدم بعض أمثلة لاستعمال هذا الحرف دون أن يعني "البديل":

- (مرقس ١٤: ٢٤) كان الرب يمسك بالخبز والكأس وقال فيما يختص بالكأس بالذات: "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين"، وقدَّم دمه للتلاميذ. هنا لم يكن دم الرب بديلاً، بل من أجلنا. وهو ما نردده في كل قداس؛ لأننا نعرف أنه قدَّم حياته وجسده ودمه "من أجل العالم" (يوحنا ٦: ٥١).

- (قال يسوع هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله) (يوحنا ١١: ٤)، فهل كان المرض هنا بديلاً؟ طبعاً لا، وإنما كان سبب استعلان مجد الله. وفي موضع آخر قال رئيس كهنة اليهود: "إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها" (يوحنا ١١: ٥٠)، وقال الإنجيلي عنه إنه "تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت .. ليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (١١: ٥١)، فلم يأت الرب لكي يموت عنا أو لأجلنا ثم ينتهي عند الموت، بل مات لكي يجمع، وجاء لكي يُحيي؛ لأنه هو القيامة والحياة.

- ولأن ذات حرف الجر لا يعني البديل يقول بولس: "لماذا يفترى عليَّ لأجل ما أشكر عليه" (١كو ١٠: ٣٠)

ὑπέρ ου εγώ εύχαριστώ

For which I give thanks.

– التعليم الرسولي في (١كو ١٥: ٣): "أنني سلمت اليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب – Christ died for our sins". أي مات بسبب خطايانا، ولا يمكن أن يستقيم المعنى في المجال الذي يقدِّمه العهد الجديد، وهو أن الرب ليس بديلاً، وإلا فقد كان يجب أن يكتب رسول رب المجد أن "المسيح مات بديلاً عن الخطاة"، ولكن عن خطايانا، أو لأجل خطايانا لا تغيِّر المعنى الحقيقي لما فعله الرب لأجلنا وهو:

١– أنه ليس بديلاً عن خطايانا.

٢– و لم يدفع ثمن خطايانا.

فكلاهما غائب عن العهد الجديد، وإنما يعودان إلى العصر الوسيط الأوروبي.

لقد افتُدينا "بالدم الكريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح" (١بط ١: ١٩). **والحمل المقصود هنا هو حمل الفصح الذي لم يقدَّم من أجل خطايا، بل لكي يبدد الموت كما حدث في الخروج من أرض مصر**، ثم بعد هذه العبارة يؤكد رسول الرب: "معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكنه قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم" (١ بط ١: ٢)، ذلك لأن التدبير سبق خلق الإنسان، وهو بنصٍّ صريح قاطع عند بولس رسول المسيح وهو ينشد:

– مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح

الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح.

كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة؛

إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرته

لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب

الذي **لنا فيه الفداء** بدمه غفران الخطايا

حسب غنى نعمته .. (أفسس ١: ٣-٦).

وهنا أدعو جميع المدَّعين -زوراً وبهتاناً- أنهم حماة الإيمـــان أن يلاحظـــوا أن التدبير:

١- قبل خلق آدم وحواء، بل قبل خلق الكون.

٢- تم اختيارنا في المسيح، ليس بعمل خارجي يقدمه الابن للآب، بل بإرادة أزلية أظهرت في الزمان.

٣- لكي يكون لنا فيه، أي في يسوع، غفران الخطايا بدمه.

٤- قبل ان يخطئ آدم وحواء، لمدح مجد نعمته، عيننا للتبني.

هل يجب أن يُطمَس كل هذا لكي نظل ندور حول محورية ومركزية الخطية، ولكي تدور عجلة السلطان الكهنوتي بالحل والربط؟!!!

"عنا" أو "لأجلنا" حسب الأصل اليوناني للعهد الجديد

يقول الرسول: "طلبتي إلى الله لأجل إسرائيل هي للخـــلاص" (رو ١٠: ١). هنا ليست الطلبة "بديلاً"، وإنما هي تجيء بمعنى التوسل مثلما نصـــليه في الأواشـــي في الكنيسة: "صلوا من أجل سلامة الواحدة". فاستخدام "لأجل" في حالة الأواشي هـــي طلب استمرار نعمة ورحمة الرب. واستخدام نفس الكلمة في حالة إسرائيل فهي توسل عن إسرائيل ولأجل إسرائيل لأن إسرائيل كان في حالة رفض الإيمان. راجـــع نفـــس المعنى في (أع ٨: ٢٤).

وفي سفر الأعمال بعد أن جُلِد الآباء الرسل "حُسِبوا مستأهلين أن يهانوا من

أجل اسمه" (أع ٥: ٤١)، هنا لا تعني "من أجل" أنهم أُهينوا بديلاً عنه، وإنما "بسبب"، وهو نفس المعنى في (أع ٢١: ١٣) "لأجل اسم الرب".

شفاعة الروح القدس لأجلنا ليست بديلاً:

وعلى الرغم من أن فان ديك ترجم الأصل اليوناني إلى "يشفع في القديسين" (رو ٨: ٢٧)، وهي ترجمة لا بأس بها، ولكنها حرفياً "ὑπέρ αγιων" لأجل أو عن. وبعد ذلك يقول الرسول: "إذا كان الله معنا Ὁθεός ὑπέρ ήμών - God for us"، وهي حرفياً "عنا أو لأجلنا"، وهي هنا لا يمكن أن تكون بديلاً عنا.

وجاءت ترجمة فان ديك بعد ذلك "يشفع فينا" عن الرب يسوع الذي لا يدين أحداً، بل يشفع لأجلنا أو عنا. ومَن يحشر فكرة البديل هنا يُسقِطُ عن عمدٍ حقيقتين كلاهما غير قابل للنقاش:

١- المسيح رأس الجسد الكنيسة (كو ١: ١٨)، فهو لا يحل محل الكنيسة بديلاً، بل هو الواهب الحياة لكل جسده.

٢- ويتعذر علينا قبول شفاعة الرب كبديل، بل لأجلنا؛ لأننا نلنا به المصالحة، والمصالحة هي عودة شركتنا في حياة الله الآب، ونوال عطية التبني التي أفرد لها رسول المسيح مكاناً خاصاً باستخدام حرف الجر "في"؛ لأننا "في المسيح"، وبدونه نحن لا شيء.

فما شفاعةُ الرب نفسه، سوى الوساطة، ليس لدى الآب الغاضب والمنتقم، بل لدى الآب الذي يريد أن تأتي إليه الإنسانية كاملة، كمال الخلود وبلا فساد، حرة من الموت بعد أن تحررت من الدينونة. وبنيان الكنيسة روحياً هو ما يسعى إليه الرب نفسه، وهو ما يشير اليه الرسول (٢كو ١٢: ١٩).

المسيح أسلم نفسه لأجلنا (أفسس ٥: ٢):

نشير بدايةً إلى أنه ساد عندنا قطع سياق الكلام أو النص لخدمة الشر، بل ولتدمير الإيمان. من أجمل النصوص البولسية (أفسس ٥: ١-٢)، وهو إشارة إلى السلوك الإلهي الذي يجب أن يتحلى به المسيحي: "كونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء" (٥: ١) مثل الآب السماوي ومثل محبته، وهذا وجهٌ من تأله الإنسان، لكي يقول الرسول بعد ذلك: "اسلكوا في المحبة"، والنموذج الذي يقدمه هو: "كما أحبنا المسيح"، والدليل الدامغ على هذه المحبة هو أنه: "أسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة".

التشبه أو التمثل بالله μιμηταί هو ما نراه عند أغناطيوس الأنطاكي (أفسس ١: ١ – ترالس ١: ٢ – رسالة ديوجينتوس ١٠: ٤-٦)، وهو أول الإشارات المسيحية إلى تقديم الذات. وعبارات الرسول قاطعة وصارمة: "اسلكوا في المحبة" حرفياً "لتصبح المحبة هي الطريق"، نفس محبة المسيح. هذا سلوكنا كلٌّ تجاه الآخر، وهو سلوكٌ جعل المسيح يقدِّم نفسه بإرادته الحرة: "لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي" (يوحنا ١٠: ١٨)، وهي كلمات الحر الذي لم يخضع لشريعة أو قانون يلزمه بأن يقدم ذاته، بل قدَّم ذاته بمحبة، وهو تقديم عائدٌ إلى الآب نفسه (يوحنا ٣: ١٦). ولم يحدد الرسول نوع الذبيحة لسببٍ واحد، وهو أنها ليست محددة حسب الشريعة الموسوية، إذ لا توجد شريعة تطلب أن يموت الابن المتجسد على الصليب. **وهنا ننبه إلى أن محاصرة ذبيحة الرب برموز وإشارات وُضِعت أساساً للفهم، أدى إلى عدم فهم خطة الله في خلاص الإنسان بالتقديم الأبدي الحقيقي الذي سيأتي مع الابن الوحيد، والذي لا مثيل ولا شبيه له في العهد القديم كله.**

إذن "أسلم نفسه عنا أو لأجلنا ὑπερ ἡμών"، لا تعني أنه بديلٌ، وهنا يجب أن يتوقف هذا الهزل الرخيص الذي يشوه محبة الثالوث العظمى، لأن نفس الرسول

يقول:

- "محبة المسيح تحصرنا،

إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع،

فالجميع إذاً ماتوا" (٢كو ٥: ١٣).

فكيف مات الجميع بموت الواحد؟ فهذا ما لا يمكن أن نفهمه بالمرة إن كان موت المسيح بديلاً، بل لأجلنا. ويجب أن نلاحظ العقل المركب: "صُلبت معه" في (غلا ٢: ١٩-٢٠): مع συν - صُلب εσταύρωμαι، فهل كان الرسول على صواب عندما رفض وساطة الشريعة وكتب: "مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ" (غلا ٢: ١٩-٢٠)؟ ولم يكن هذا اعتراف الرسول وحده، بل هو ما يقدمه في (رو ٦: ١-٨):

- "اعتمدنا ليسوع المسيح ...

اعتمدنا لموته ...

دُفنا معه بالمعمودية للموت ...

متحدين معه بشبه موته ...

نصير ايضاً بقيامته ...

إنساننا القديم قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية".

وعلى ذلك، فكلمة "البديل" كما وردت في العصر الوسيط، وكما سادت في عصر الإصلاح ودخلت مصر مع جهود المبشرين من الإنجيليين، تعني بكل أمانة ودقة:

• فداءً تم بتقديم البديل بلا سرائر.

• فداءً تم يوم الجمعة الكبير لا يعطي للمعمودية أيَّ مكانٍ، بل يقلع المعمودية من جذرها، الذي هو اتحادنا ليس ببديلٍ، بل بالذي مات لأجلنا، لكي نموت نحن فيه[١].

لقد سبق ودرسنا الأفعال المركبة، أي إضافة مقطع لفعل ما بغرض تأكيد الشركة[٢]، ولكننا إزاء الصلف والعناد والكبرياء والكذب، ثم اتهام التعليم الرسولي نفسه بأنه خداعٌ للقراء، نضع بين يدي القارئ العزيز بعض استخدامات حرف الجر "في":

• "**في الرب**" – "**في الرب يسوع**" (رو ٦: ٣٣ – رو ٨: ٣٩ – ١كو ١٥: ٣١).

• "**في المسيح**" (رو ٣: ٢٤ – رو ٦: ٢٣ – رو ٨: ٨ – رو ٨: ٣٩ – ١كو ١: ٤ – ١كو ١٥: ٢٢ – ٢كو ١٥: ٢٢ – ٢كو ٣: ١٤ – ٢كو ٥: ١٩. فقد كان الله في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، ولم يكن المسيح بديلاً؛ لأن "الله كان **في المسيح** مصالحاً" والتبرير هو **في المسيح** غلا ٣: ١٤ وبركة الله لإبراهيم هي **في المسيح** غلا ٥: ٦ – وغنى مجده **في المسيح يسوع** (أفسس ٥: ١٨).

• "**مع المسيح**" (٢كو ٤: ١٤ – ٢كو ١٣: ٤) ونموت مع (٢كو ٧: ٣ – نملك مع ١كو ٤: ٨) "ومع المسيح" هي الواقع الحي "في المسيح"؛ لأنه هو الرأس

---

(١) سوف نعود إلى هذا الموضوع عندما ندرس كتابات العظيم أثناسيوس الذي حوَّله دعاة التشيع إلى إنجيلي بروتستانتي بالكلمات، لا بدراسة ما كتبه هو.

(٢) راجع دراستنا بعنوان: الكنيسة جسد المسيح، المسيح والمسيحي وشركة الجسد الواحد، القاهرة، يناير ٢٠١٤، ص ١٣ وما بعدها – والدراسة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

الذي منه كل الجسد مركباً ومقترناً .. يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة" (أفسس ٤: ١٦)؛ لأننا في المسيح ومع المسيح "جسد واحد" (أفسس ٤: ٣)، لأننا "متنا مع المسيح" (كولو ٢: ٢٠)، **ولما متنا معه، لم يعد لفرائض الشريعة القديمة أي سلطان علينا**. ولكن نحن أيضاً "قمنا مع المسيح وحياتنا مستترة مع المسيح في الله" (كولو ٣: ١-٣).

فهل أدرك القارئ العزيز أن "البدلية" هي ابتعادٌ تام عن شركتنا "في المسيح – مع المسيح – واتحادنا بالمسيح"، وقضاءٌ تام على المعمودية والمسحة والميرون؟ وهل يعلم المدافعون عن هذه الفكرة السائدة في العصر الوسيط، أن البدلية هي التي دمَّرت سرائر الكنيسة؟ أم أن التعنت والدفاع عن خطأٍ قيل وكُتِب عن جهلٍ، وصار الذين كتبوا يملكون "عصمةً إلهيةً" لا تناقَش ولا تقبل التصحيح، بل قيم الهجوم على الذين حاولوا اعادتهم إلى التعليم السليم.

تقديم ثنائي للآب وللموت

قدَّم الربُّ جسداً قابلاً للموت (راجع تجسد الكلمة ١٣: ٩ – ٢١: ٥) وللكلمة حضور متجسد (١٨: ٢) هو الحضور الذي به "أحيا الجسد المائت وطهَّره" (١٧: ٧). وأسلم الربُّ "هيكله للموت عن الجميع" (٢٠: ٢)، وهذا التعبير هامٌ جداً لأن ق أثناسيوس قال في نفس السطر عن الرب إنه: "قدم ذبيحته عن الجميع"؛ لأن الإنسان المائت لا يمكن أن يصبح غير مائت إلا بما فعله يسوع المسيح لأجلنا لأنه "هو الحياة ذاتها" (٢٠: ١). وبتقديم جسده لأجلنا أباد الرب الموت. هنا "عنا ولأجلنا" ليست ما نراه في كتابات حركة الإصلاح، ولا ما ذكره الأنبا بيشوي عن تشفِّي الآب بجلد ابنه "بجلدات حارقة" تكشف عن نفسية المطران، بل تعني "سلم الرب جسده للموت" (٢١: ٣)، وهو الحياة عينها (٢١: ٣)، ولذلك فهو ليس ثمناً، بل جسد ذاك الذي هو الحياة (٢١: ٧).

ذبيحة حياة لا ذبيحة موت:

يقول أثناسيوس: "كان من الضروري أن يتم الموت عن الجميع. ولهذا لأنه الحياة والقوة فقد نال الجسد منه القوة" (٢٢: ٥)، هي ذات الكلمات الربانية التي تفوه بها الرب نفسه: "لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها"، وعندما ختم الرب كلماته بقوله: "هذه الوصية قبلتها من أبي"، وقبل ذلك "لذلك يحبني الآب لأنني أضع نفسي" (يوحنا ١٠: ١٧-١٨).

الموت لا يفدي الموتى ولكن الحياة هي التي تفدي الموتى. الفداءُ ليس بموتٍ، بل بحياة تقدَّم تُبيد الموت وتغلبه "لكي يبيد ذلك الموت تماماً عندما يلتقي به في جسده" (٢٢: ٣). ولذلك، إذا كان الموت قد سبق القيامة (٢٣: ١) "لأنه لا يمكن أن تكون قيامة ما لم يسبقها موت" (٢٣: ١). وقد اختار القديس أثناسيوس مثال "المصارع النبيل، العظيم في المهارة والشجاعة" (٢٤: ٣) الذي اختار أن يواجه الموت على أرض الموت وأباد الموت.

نعم "عنا"؛ لأنه "حملنا في جسده" (٢٥: ٦)، وأبيد الموت في جسد الرب بقوة المخلص (٢٦: ٢) ويا لروعة هذه العبارة:

"الموت قد أبيد

الصليب صار هو الغلبة عليه

الموت لم يعد له سلطان بالمرة

بل قد مات حقاً" (٢٧: ١).

إذن، مات الموت، وعجز عن أن يسود علينا بسبب قيامة الرب. وعلى الصليب "هزمه المخلص وشهَّر به على الصليب وربط يديه ورجليه .. أين غلبتك يا

موت .." (٢٧: ٤).

"لأجلنا" هي نشيد الانتصار؛ لأن المسيح أبطل الموت وأوقف فساد المـــوت وأباده" (٢٩: ٦).

ذبيحة الحياة هي التي أماتت الموت (٣٠: ١، ٤).

هيكل الحياة (٣١: ٤ – ٤٤: ٥ – ٤٥: ١ – ٤٦: ١) في هذه العبـــارات البالغة الدقة يجب أن نفهم ما يلي:

١- لبس الكلمة جسداً لكي يلاقي الموت في الجسد ويبيده لأنه كيف كـــان مستطاعاً البرهنة على أن الرب هو الحياة ما لم يكن قد أحيا ما كان مائتـــاً" (٤٤: ٥) لقد أبيد الموت من الجسد، من ذات جسد الرب نفسه.

٢- مات لكي يحيي الجسد لأنه الحياة (٤٥: ١) ولذلك حفظ الرب الجســـد الذي اتخذه غير فاسد كبرهان على قوة الحياة التي بها قدم الجسد (٤٦: ١).

قدَّم جسده للآب لأجلنا:

"كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقد بذل جسده للموت عن الجميع وقدمه للآب. كل هذا فعله من أجل محبته للبشر" (٨: ٤). إنها المحبة الغائبة تماماً مـــن لاهوت عصر الإصلاح، ولذلك يقول أثناسيوس: "تمم المخلص بتأنسه وجهي المحبـــة (عمليتي المحبة): ١) أباد الموت من داخلنا وجددنا. ٢) أعلن ذاته.

وعندما تجسد كان في نفس الوقت "كائناً مع أبيه" (٨: ١). وعنـــدما كـــان على الصليب كان حاضراً في الأشياء لأنه "كائنٌ مع أبيه" (١٧: ١). فهو كما تقـــول قسمة عيد تجسد الرب: "الكائن في حضنه الأبوي كل حين" لأنه حتى وهـــو "مـــع وجوده في جسد بشري معطياً الحياة (لهذا الجسد)، فقد كان من الطبيعـــي أن يمـــنح

الحياة للكون كله (١٧: ٢). "كان في الجسد ولكن لم يكن" مقيداً بالجسد (١٧: ٤) كان يحيا كإنسان، ولكنه كان أزلياً" كائناً مع أبيه" (١٧: ٥)، بل كان في الجسد، وكل الكائنات تستمد منه الحياة وتعتمد عليه في بقائها (١٧: ٦).

مشابهون له حسب الجسد (ضد الأريوسيين ٢: ٧٤)

كنا نتمنى على الأنبا بيشوي أن يكون أكثر أمانة فيعود إلى التسليم الآبائي، بدلاً من اللف والدوران حول ما أسماه "البدلية"، غاية الأمر أنه حوَّلها من البدلية العقابية إلى البدلية الخلاصية، وبالتالي فهو لم يبرح مكانه حتى وإن غيَّر الكلمات، فمازال مفهوم البدلية قابعاً في ذهنه راسخاً في عقله، وإن كان يظن أن هذا الاستبدال قد ينطلي على القراء، فالفطن منهم لا بد وأن ينتبه إلى ذلك الأسلوب الأفعواني.

وسبيلنا إلى فضح هذا الأسلوب هو دائماً اللجوء إلى العظيم اثناسيوس الذي يقدم الدواء لجنون الأريوسية الجديدة، تلك البارعة في اللف والدوران وفي تزوير الحقائق.

كيف تم الاتحاد بالرب؟

إذا كان القديس أثناسيوس يقول: "لأنه اللوغوس حقاً، فلا يوجد من يماثلونه حتى يمكن أن يتحدوا معه" (الأريوسيين ٢: ٧٤)، فما الذي يقصده بالمماثلة، وما الذي يعنيه بالاتحاد الممكن الذي تم بالفعل؟

يجيب أثناسيوس: "لأنه وحيد الجنس، ولكن عندما صار إنساناً، فقد صار له مماثلون، مَن هم؟ ويجيب "هم الذين ارتدى جسدهم المماثل لجسده" (٢: ٧٤).

"هو الكرمة ونحن أغصانه، ليس بحسب جوهر اللاهوت؛ لأن هذا مستحيل حقاً، بل بحسب بشريته، لأن الأغصان يلزم أن تكون مشابهة للكرمة حيث أننا

مشابهون له بحسب الجسد" (٢: ٧٤).

لقد أخذ الرب والمخلص ما يخصنا وجعله ما يخصه "لكي باتحادنا معه في الجسد وارتباطنا به بسبب مشابهة الجسد نبقى غير مائتين وغير قابلين للفساد، وبه (يسوع) نصل إلى الإنسان الكامل" (٢: ٧٤).

المشابهة ليست بالتجسد وحده، بل بتجديد جسد الرب:

صحيح أن التجسد وحده هو اتحاد حقيقي، ولكنه لا ينزع الموت عنا نحن؛ "ولذلك فقد لبس الجسد البشري المخلوق، لكي بعد أن يجدده كخالق، فإنه يؤلِّهه في ذاته، وهكذا يُدخلنا جميعاً إلى ملكوت السموات على مثال صورته" (٢: ٧٠). **وعلينا أن نلاحظ أن التجسد وحده لا يكفي؛ لأن العائق الذي يمنعنا من الاتحاد بالثالوث هو "الموت"، ولذلك كان جسد الرب نفسه "القابل للموت"، قابلاً للتجديد "كلمة الله المحب للبشر لبس الجسد المخلوق بإرادة الآب لكي يحيي بدم نفسه هذا الجسد الذي أماته الإنسان الأول بسبب تعديه"** (٢: ٦٥).

لبس الربُّ "الجسد الناقص" الذي ينقصه الخلود (٢: ٦٦)، وعندما لبس الجسد وكان هو الذي "أصدر الحكم: أنت تراب، هو ذاته الذي صفح عن الخطايا" (٢: ٦٧) هو الذي رد للإنسان الحياة وهو "الدين" لأنه "فيه وبه صار إبطال للدينونة" (٢: ٦٦).

هكذا بالحقيقة صار "لأجلنا" كما سلمنا أثناسيوس:

- صار المخلص بحسب الجسد أول الذين خُلقوا من جديد (٢: ٦٦).

- لبس الجسد الناقص لكي يوفي الدين عنا ويكمل بنفسه ما هو ناقص عند الإنسان، فالإنسان ينقصه الخلود والطريق الى الفردوس (٢: ٦٦).

• صار الرب بداية الخلقة الجديدة "لكي لا يحيا الإنسان فيما بعد بحسب الخليقة الأولى إذ توجد بداية خليقة جديدة، والمسيح هو بدء الخلقة" (٢: ٦٥).

• صار المسيح هو البكر؛ لأن "جسده" كان هو أول ما تم خلاصه وتحريره، إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة نفسه، وهكذا إذ قد صرنا متحدين بجسده، فقد خلصنا على مثال جسده" (٢: ٦١).

• فالخليقة الأولى التي كُوِّنت به، صارت الآن في التجديد تتكون فيه " (٢: ٦٤).

• نحن حسب الخلقة الأولى بشرٌ، ولكننا في التجديد أخذنا روح الابن الحق بالطبيعة، لكي يجعل الإنسان قادراً على تقبل الألوهة" (٢: ٥٩). لأن الله "ليس أبانا بالطبيعة، بل هو آب الكلمة الكائن فينا، والذي به نصرخ "أبانا الذي في السموات" (٢: ٥٩).

• وفي الخلقة الجديدة يخلقنا الآب في المسيح يسوع من جديد؛ لأن الذين يخلقهم يتحدون به ويكون هو فيهم مثلما يكونون هم فيه" (٢: ٥٥).

• نحن صورة الله ومجده ليس من ذواتنا .. "بل بسبب صورة الله ومجده الحقيقي الساكن فينا الذي هو كلمته والذي صار جسداً لأجلنا فيما بعد، لكي ننال نحن نعمة هذه التسمية (الأريوسيين ٣: ١٠).

لأجلنا:

في إيجاز شديد يشرح القديس أثناسيوس أن الجنس البشري قبل التجسد (ضد أريوس ٣: ٣٣) ليس هو الجنس البشري بعد التجسد. لقد أباد الرب كل ضعفات الجسد، ولولا التجسد والموت على الصليب والقيامة، لَمَا تحرر الإنسان من الخطية

والفساد. فالتطهر من الخطية ليس هدف الإله المتجسد؛ لأن أرميا تقدَّس من الرحم (أرميا ١: ٥)، ويوحنا أيضاً، ومع ذلك "ظل البشر مائتين وقابلين للفساد كما كانوا" (ضد أريوس ٣: ٣٣)، ولكن بعد أن تجسد الرب وحرر الإنسان، صار البشر غير فاسدين وأحياء إلى الأبد. والسبب هو أن الرب "نقل بداية تكويننا إلى ذاته لكي لا نرجع فيما بعد كمجرد تراب .. ولكن بارتباطنا بالكلمة الذي من السماء فإننا نُحمَل إلى السماء بواسطته" (٣: ٣٣)، بل عندما تحرر جسد المخلص نفسه وفداه المخلص بدم نفسه، "فإننا نحن البشر نتأله بالكلمة باتحادنا به بواسطة جسده، ولهذا فنحن نرث الحياة الأبدية" (٣: ٣٤).

مناجاة:

يا سيدنا حقاً، يبدو أن محبتي لك التي دامت منذ أن صرت مسيحياً -ليس بالوراثة، بل بالحق- قد أعطت لي نصيباً في عذابك: حرمان مثل الحرمان في مجامع أريوس. ونفي مثل نفيك، واتهامات باطلة لم تصل بعد إلى ذات القائمة التي اتهمك الأريوسيون بهتك عرض امرأة وقتل إنسان، ولكن روح الحق تكلم في ضمائر حرة.

عشتَ معظم أيامك في المنفى، وهكذا أُشاركك بعض قطرات من كأس المصلوب، ولكن لابد وأنك طلبت لي نعمة الاستنارة لكي أفهم التسليم الكنسي في مكان متواضع لم يعرفه إلا قلة نادرة، في كنيسة مار مينا مصر القديمة، لكي يحمل خادم هذه الكنيسة القمص مينا المتوحد أوراق سفري إلى انجلترا أثناء زيارته للرئيس جمال عبد الناصر، وأحصل على تأشيرة خروج في ١٩٦٥ وأعود لكي أواصل رحلتي معك.

صلِّ لأجلي يا ساكن مجد الثالوث لكي أشهد كما شهدت.

د. جورج حبيب بباوي